نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس

تقديم

أناهيد بنت عبد السميري

غفر الله لها ولوالديها

ألقي في شعبان ١٤٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنّة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الثامن/ الخميس 9 شعبان 1441

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا، ونسأله بمنّه و كرمه أن يجعلنا من أهل الإيمان الذين إذا ابتُلوا صبروا، وإذا أُنعم عليهم شكروا، والمرء في كل زمانه لا يخلو من اجتماع البلاء مع النعماء؛ فإن من سنّة الله على عباده المؤمنين أن يجعل لهم في كل بلاء فرجا، وأن يظهر لهم في كل ضيق حكمة، فيكونوا بسببها من الشاكرين، وكم من بابٍ أُغلق في الدنيا لتُفتح أبواب الجنة، فنسأله بمنّه وكرمه أن نكون ممن يُسِّر لهم الأعمال ليكون مآلهم إلى جنات النعيم اللهم آمين.

في الحديث بعد ما درسنا «**احفظ الله يحفظك**»، وصلنا إلى قوله صلى الله عليه وسلم «**إذا سألت فاسأل الله**»

ثم بيّن ابن رجب رحمه الله أمورا تجعل من المتعين عقلا وشرعا سؤال الله:

1- فقال في الأمر الأول أن السؤال فيه بذلٌ لماء الوجه، وذلة للسائل وهذا لا يصلح إلا لله عز وجل، فلا يصلح الذل إلا له سبحانه وتعالى.

2- والأمر الثاني أن في سؤال الله عبودية عظيمة؛ لأنها إظهار للافتقار إليه، واعتراف بقدرته سبحانه وتعالى على قضاء الحوائج، في مقابل لما تسأل الخلق كأنك تقول أنهم القادرون على قضاء الحوائج الأمر.

3- الثالث إنك لمّا تسأل الله في كل حاجة صغيرة أو كبيرة أول ما تحتاجها تفزع إلى الله؛ فالله يحب منك هذا، ويغضب عليك إذا بقيت حائرا مهموما متكدرا كأن ليس لك ربّ يرعاك، فالله يريد من عباده أن يرغبوا إليه في كل مسألة، وقد مر معنا أن الله يبتلي الإنسان بالحاجات لتظهر منه العبادات، وأهم عبادة هي عبادة الدعاء؛ لأنه قد ورد في الحديث **«إِنَّ الدعاءَ هو العِبادَةُ»**[1]

4- الأمر الرابع أن من أدلة حب الله للدعاء: أنه يستدعي من عباده سؤالهم، يريد من عباده أن يسألوه؛ فينادي في الثلث الأخير من الليل كما تعلمون في الحديث المشهور، ينادي خلقَه من أجل أن يطلبوه، فيكون من الواجب علينا أنه نوحده سبحانه

---

[1] ( ) صحيح الأدب المفرد، الصفحة أو الرقم: 550، خلاصة حكم المحدث: صحيح

وتعالى بالسؤال؛ فأي أمر كبير أو صغير، خطيرا في شأنه أو حقيرا مباشرة تطلب من رب العالمين.

وقد تبين لنا أننا نطلب من رب العالمين طلبا صادقا أن يفرج علينا هذا الأمر، أو أن يرزقنا هذا الرزق، وفي ضمن سؤالنا نعرف أننا نطلب منه الأسباب التي توصلنا إلى هذا المقصود.

فلا يمكن أن يكون هناك عطاء إلا وله سبب، هذا الحكم العام في عطايا الله، لكن ربما يأتي عطاء ليس له سبب منك، و هذه أمور خاصة يختص الله بها بعض خلقه.

لكن الاصل أن كل شيء له سبب، فنحن لما نسأل ربنا أي شيء في ضمن سؤالنا كأننا نسأل السبب؛ فنقول لربنا "اعطنا السبب الذي به نصل إلى مرضاتك"، هذا لو كان في شأن الآخرة وهو الأهم، أو ارزقنا يا رب، فكأننا نقول" اعطنا السبب الذي به نُرزق" وهكذا.

على كل حال اعتمادك التام على الدعاء دليل إيمانك، وكل شأن تحتاجه ابتدأ فيه بالدعاء، واحذر أن تستقلّه، أو تراه آخر الحلول، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس: «**إذا سألت فاسأل الله**»

قال بن رجب رحمه الله تعالى:

(قال طاوس لعطاء: "إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ويجعل دونها حجابه، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة. أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك".

ورأى ميمون بن مهران الناس مجتمعين على باب بعض الأمراء فقال: "من كانت له حاجة إلى سلطان فحجبه فإن بيوت الرحمن مُفتَّحة، فليأتِ مسجدًا فليصلِ ركعتين، ثُمَّ ليسأل حاجته".

وكان بكر المزني يقول: "مَنْ مثلك يا ابن آدم؟! متى شئت تطهّرت ثُمَّ ناجيت ربك، ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان"

وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

لا تجلسنّ بباب من يأبى ** عليك دخول داره

وتقول حاجتي إِلَيْهِ ** يعوقها إن لم أدارِه

واتركه واقصد ربها ** تُقضى ورب الدار كاره

وخرج ابن أبي الدنيا[2] من حديث أبي عبيدةَ بن عبد الله بن مسعود أن رجلًا جَاءَ إلى النَّبِيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، إِنَّ بَنِي فُلَانٍ أَغَارُوا عَلَيَّ، فَذَهَبُوا بِإِبِلِي وَابْنِي فقال له النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ آلَ مُحَمَّدٍ كَذَا وَكَذَا أَهْلَ بَيْتٍ مَا لَهُم مُدٌّ مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعٌ، فَسَلِ الله» فرجع إلى امرأته، فقالت: ما قال لك؟ فأخبرها، فقالت: نِعْمَ ما رَدَّ عليكَ. فَمَا لَبِثَ أَنْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ إِبِلَهُ وَابْنَهُ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِمَسْأَلَةِ اللَّهِ عز وجل وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}[3]

والآثار والحكايات في هذا المعنى كثيرة جدا يطول الكتاب بذكرها، وهي موجودة في مثل: كتاب (الفرج بعد الشدة)، وكتاب (مجابي الدعوة) لابن أبي الدنيا، وفي كتاب (المستصرخين بالله عند نزول البلاء) للقاضي أبي الوليد بن الصفّار، وكتاب (المستغيثين بالله عند نزول البلاء) للحافظ أبي القاسم بن بشكوال الأندلسيين، وفي غيرها من كتب الزهد والرقائق والتواريخ وغيرها.)

---

[2] ( ) في الفرج بعد الشدة برقم: (١٠)، وفي القناعة والتعفف برقم: (٥٤).
[3] ( ) الطلاق: ٢ - ٣

نبدأ من عند قول طاووس لعطاء، وهم من أئمة الإسلام الذين حملوا الدين وفقهوه.

يقول طاووس لعطاء: **"إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ويجعل دونها حجابه"**، وهذا هو وصف المخلوقين.

"وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة"، وهذا ما يأتي إلا مع اليقين، أن تعتقد أن الله بابه مفتوح إلى يوم القيامة.

"أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك"

وكل هذه المقولات تؤيد ما مضى أنه **«إذا سألت فاسأل الله»**

(ورأى ميمون بن مهران الناس مجتمعين على باب بعض الأمراء فقال: "من كانت له حاجة إلى سلطان فحجبه فإن بيوت الرحمن مُفتَّحة، فليأتِ مسجدًا فليصلِ ركعتين، ثُمَّ ليسأل حاجته ".

يعني واقفين أمام بيت السلطان مجتمعين محجوبين، قال: **"فإن بيوت الرحمن مُفتَّحة"** ، أسأل الله أن يفتّحها ويعيدها أزهر ما تكون، وأحسن ما تكون، سبحان ربي العظيم كنا نقرأ

هذه الجملة، ونحن مطمئنين ما في أي مشاعر تجاهها، سبحان ربي العظيم كل شي تغير.

والحمد لله أصبحت دورنا هي بيوت الرحمن، الحمد لله والنبي صلى الله عليه وسلم قد أوصى بأن «**لا تجعلوا بيوتَكم قبورًا**»[4]، وأن يقيم الإنسان فيها الصلاة، فالحمد لله.

قال "**فليأتِ مسجدًا فليصلِ ركعتين، ثُمَّ ليسأل حاجته**"

يعني كأنه يشير إلى أن يتركوا الوقوف ببيوت الخلق، وقِفوا ببيت الله، واطلبوا الله.

وكان بكر المزني يقول: "مَنْ مثلك يا ابن آدم؟!" ما في أحد المخلوقات مثلك **"متى شئت تطهّرت ثُمَّ ناجيت ربك، ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان"** ، يعني إذا تطهرت، وصليت فتح لك باب الله، فليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان .

وأورد هذه الأبيات التي تمثل حال الإنسان، أي مثل حال عقيدته وقت دعاءه ورجائه لربه، الثقة التي تكون في نفسك وأنت تطلب الله يقول:

---

[4] ( ) إغاثة اللهفان، الصفحة أو الرقم : 1/300، خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن رواته كلهم ثقات مشاهير

لا تجلسنّ بباب من يأبى ** عليك دخول داره

وتقول حاجتي إِلَيْهِ يعوقها إن ** لم أدارِه

فيصير لابد أن تداريه لأجل أن تخرج حاجتك، وحاجتك ليست كما تظن أنها محبوسة وراءه، لا ليست كما تظن.

يقول: واتركه واقصد ربها ** تُقضى ورب الدار كاره

فإذا أذِن الله سكت الخلق أجمعين، ولا يستطيعون أن يمنعوا ما أذِن الله به.

(وخرج ابن أبي الدنيا من حديث أبي عبيدةَ بن عبد الله بن مسعود أن رجلًا جَاءَ إلى النَّبِيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، إِنَّ بَنِي فُلَانٍ أَغَارُوا عَلَيَّ، فَذَهَبُوا بِإِبِلِي وَابْنِي.)

أخذوا الإبل وابنه، فيريد من النبي صلى الله عليه وسلم حلًّا.

(فقال له النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ آلَ مُحَمَّدٍ كَذَا وَكَذَا أَهْلَ بَيْتٍ مَا لَهُم مُدٌّ مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعٌ، فَسَلِ الله»)

يعني يريد أن يقول له أنا لا أنفعك ولا أضرك، كنت نفعت أهل داري.

(فرجع إلى امرأته، فقالت: ما قال لك؟ فأخبرها، فقالت: نِعْمَ ما رَدَّ عليكَ.)

أي أن هذا هو الحل؛ قم فادعُ الله، الله يملك الملك، حتى النبي صلى الله عليه وسلم ليس له قدرة على أن ينفع أهل داره فكيف سينفعك؟

(فَمَا لَبِثَ أَنْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ إِبِلَهُ وَابْنَهُ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِمَسْأَلَةِ اللَّهِ عز وجلّ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ)

كان من الممكن أول أمر كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل الله، ويأمر الناس أن يسألوا الله، لكن لما تأتي مثل هذه الأمور تكون كالشواهد المتجددة على قربه سبحانه وتعالى، وعلى إجابته لخلقه.

(وَأَمَرَ النَّاسَ بِمَسْأَلَةِ اللَّهِ عز وجل وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ})

على كل حال ذكر ابن رجب رحمه الله أن الآثار هذا الموضوع كثيرة، وذكر بعض الكتب التي فيها قصص لمن دعا، وكيف فُرّج عليهم.

الآن نبدأ بجملة جديدة في الحديث:

قوله ﷺ: «وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»

لما أمر بحفظ الله والتعرف إِلَيْهِ في الرخاء - وذلك هو العبادة حقيقة- ثُمَّ أرشد إلى سؤال الله وحده ودعائه، و «الدُّعَاءِ هُوَ العِبَادَةِ»، كما في حديث النعمان بن بشير، عن النَّبِي ﷺ، ثُمَّ قرأ: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[5] خرَّجه أهل السنن الأربعة[6].

أرشد بعد ذلك إلى الاستعانة بالله وحده، وهذا منتزع من قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[7] ، وهي كلمة عظيمة جامعة، يُقال: إن سر الكتب الإلهية كلها ترجع إليها وتدور عليها.

وفي استعانة الله وحده فائدتان:

---

[5] ( ) غافر : ٦٠

[6] ( ) أخرجه أبو داود برقم: (١٤٧٩)، والترمذي برقم: (٣٣٧٢)، والنسائي في الكبرى برقم: (١١٤٦٤)، و ابن ماجه برقم: (٣٨٢٨) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[7] ( ) الفاتحة: ٥

إحداهما: أن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في عمل الطاعات.

والثانية: أنّه لا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله الله فهو المخذول.

وفي الحديث الصحيح عن النَّبي ﷺ: «احْرُصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجز»[8]

وكان ﷺ يقول في خطبته ويُعلم أصحابه أن يقولوا: «الحَمْدُ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهُ»[9]

وأمر معاذ بن جبل أن لا يدع في دبر كل صلاة أن يقول: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ»[10]

وكان من دعائه ﷺ: «يَا رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تَعِنْ عَلَيَّ»[11]

وفي دعاء القنوت الذي كان يدعو به عمر- رضي الله عنه-، وغيره: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ».

فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وفي ترك المحظورات، وفي الصبر على المقدورات.

---

[8] ( ) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٦٤).

[9] ( ) أخرجه الشافعي في المسند بترتيب السندي (ص/ ١/١٤٧). قال الشيخ الألباني: في مقدمة المجلد الخامس ص ١ عن لفظة "ونستهديه": بأن هذه الزيادة لا أصل لها في شيء من طرق هذه الخطبة؛ خطبة الحاجة.

[10] ( ) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٥)، وأبو داود برقم: (١٥٢٢)، والنسائي برقم: (٥٣/٣).

[11] ( ) أخرجه أحمد (١/٢٢٧)، وأبو داود برقم: (١٥١٠)، والترمذي برقم: (٣٥٥١) وقال: هذا حديث حسن صحيح

كما قال يعقوب عليه السلام لبنيه: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[12]

ولهذا قالت عائشة هذه الكلمة لما قال أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا.

وقال موسى لقومه: {اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا}[13]

وقال الله لنبيه ﷺ: {قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[14])

نبدأ في هذه الجملة الجديدة وهي قول النبي ﷺ: «وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»، ولا تنسوا أن هذه الوصايا كلها للغلام -لابن عباس- الذي لم يناهز الحلم، وكيف هذا الفتى الصغير حفظ هذه العبارات العظيمة، واستقام عليها طول حياته، فإن من تتبّع سيرة ابن عباس وجده متمثِّلا -رضي الله عنه- بهذه الوصايا تمثلا عظيما، فالحمد لله الذي رزقنا أن نكون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والحمد لله الذي حفظ لنا الدين بهؤلاء الرجال الكرام، الذين حفظوا العلم قولا وعملا، فنقلوه قولا، ونُقل إلينا أفعالهم، فطابقت أفعالهم أقوالهم رضي الله

---

[12] ( ) يوسف: ١٨

[13] ( ) الأعراف: ١٢٨

[14] ( ) الأنبياء: ١١٢

عنهم، وقبِل منّا حبّ رسوله صلى الله عليه وسلم وحبّ أصحابه الكرام.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم للغلام الذي لم يناهز الحلم «**وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**»، وهنا أيضا نوع من أنواع التوحيد الذي يؤَسَّس في قلب هذا الفتى الصغير؛ فإن كل أمر يحتاج الإنسان إنجازه لا بد له من الاستعانة، لا بد له ممَّن يعينه؛ لأنه لا يمكن للإنسان أن ينفرد بمصلحة، فإن الله جعل مصالح الناس متشعبة بينهم، بحيث يكون في النهاية كل مصلحة لا بد فيها من الإعانة، معنى ذلك أن الناس لا بد أن يعينوا بعضهم بعض، ويستعين بعضهم ببعض، لكن نحن دائما نتكلم عن أول مرحلة لازم تمر بها، ثم الباقي يأتيك تسخير، والباقي يأتيك من عند رب العالمين، والباقي تجده فرجا بعد شدة، وهِبَةً من رب العالمين، فلا تحمل همًّا، ابدأ بالطريق الصحيح تصل إن شاء الله إلى مرادك.

ما معنى «وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»؟

يقول ابن رجب: (**لما أمر ﷺ بحفظ الله والتعرف إِلَيْهِ في الرخاء - وذلك هو العبادة حقيقة**)

أننا نحفظ الله- كما اتفقنا في أول ما تدارسنا هذه الرسالة- نحفظ الله أي نحفظ حدوده، وحقوقه، أوامره، ونواهيه.

ونتعرف إلى الله في الرخاء، فنعرف أسماءه وصفاته وأفعاله.

قال عن هذين الأمرين أنهما هو الدين حقيقة: **أننا نحفظ في حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، وهذا يكون مبني على أننا عرفنا ربنا، وعرفنا أسمائه وصفاته وأفعاله**، كمال قدرته، كمال عظمته، يقول للشيء كن فيكون؛ فذلك هو العبادة حقيقة.

(ثُمَّ أرشد إلى سؤال الله وحده ودعائه، و «الدُّعَاءِ هُوَ العِبَادَةِ»، كما في حديث النعمان بن بشير، عن النَّبِي ﷺ، ثُمَّ قرأ: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}خرَّجه أهل السنن الأربعة

أرشد بعد ذلك إلى الاستعانة بالله وحده، وهذا منتزعٌ من قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ})

«وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» يعني وحّد الله بالاستعانة، لا تطلب عون غيره، وهذا منتزع من قوله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}

ويذكّرنا بهذه الكلمة التي في سورة الفاتحة فيقول لنا ابن رجب: (**وهي كلمة عظيمة جامعة**)، أعبدك، ولا أعبد غيرك، وأستعين بك، ولا أستعين بغيرك.

فيريد أن يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال الجمل الثلاث الأولى: «**احفظ الله يحفظك،احفظ الله تجده تجاهك**»

«**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»

«**إذا سألت فاسأل الله**»

يقول إن هذه الثلاثة الجمل كانت هي {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}؛ لأنه حفظ حدود الله وحقوقه المعتمد على معرفته سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، ثم دعاءه، هذه العبادة حقيقة، هذه {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} فهمنا معناها في الثلاث الجمل الماضية .

هي جملتان {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}:

قال (**هي كلمة عظيمة جامعة، يقال: إن سر الكتب الإلهية كلها ترجع إليها وتدور عليها.**)

يعني التوراة والإنجيل، وما نزل على إبراهيم عليه السلام، وما نزل على كل الأنبياء يرجع إلى هاتين الجملتين؛ يعني كأن كل ما نزل تفسير لـــ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}

إذن بذلك عرفنا موقع الجملة الرابعة في الحديث:

- الثلاث الجمل الأولى أدخلها تحت {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}
- الجملة الأخيرة الآن أدخلها طبعا بوضوح تحت {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}

يقول (**وفي استعانة الله وحده فائدتان**)

كونوا مركزين على مسألة التوحيد، وهذه هي المسألة التي تظهر في الكتاب العظيم جليّة، وتظهر في السنة النبوية، وهي وليس غيرها سبب لعزة أهل الإسلام، فإن ما رفع أهل الإسلام في القرون الأولى وما بعدها إلا توحيدهم لله، بل و تطهيرهم لهذا التوحيد، والمحافظة عليه، وتعلُّمه وتعليمه، ونشره وبيانه، وتقويته وحماية حماه، فلا يستهان به، ولا يؤخر. وليست هناك أطروحة أبدا في العالم الإسلامي لكي يعود المسلمين إلى عزتهم وإلى منزلتهم الحقيقية، ليس هناك أي أطروحة ذات قيمة إذا لم تبدأ بالتوحيد، وكثير ما مرّ معنا، ولابد من تأكيد هذا المعنى أنّ كل ما نملكه من أدوات الحضارة عبارة عن أصفار أمام الواحد الذي هو التوحيد.

فإذا أتيت بالواحد اللي هو التوحيد، وأتيت بكل أنواع الحضارة أصبح لهذه الأصفار قيمة؛ فلو مثلا اعتبرنا الرقم 1,000,000 فيه ستة أصفار:

- رقم واحد: هو التوحيد.
- الأصفار: هي كل أنواع الحضارة والأدوات، والإمكانيات، والخطط، والاقتراحات، كل شيء اعتبروا هذه الأصفار .

إذا وضعت يدك على الواحد وحذفته؛ كل الأصفار كلها ما لها قيمة.

إذا أظهرت هذا الواحد هذه الأصفار لها قيمة.

وهذا التصور يسمح لنا بألّا يكون هناك معارضة بين أي فكرة الناس يقترحونها في أفكار التطور؛ أفكار التحضر؛ أي الأفكار التي يصل بها الإنسان إلى القوة والحضارة والتقدم، كل هذه لامانع فيها، لكن في حق أهل الإسلام هذه ليس لها قيمة إذا لم يكن التوحيد موجودًا.

انظر من أول الحديث «**احفظ الله يحفظك،احفظ الله تجده تجاهك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله** »

لابد أن تكون موحدًا، لابد أن تعرف ربنا، لابد أن تبتدئ بحفظ حدوده وحقوقه، وكل شيء بعد ذلك يبارَك لك ويُيسر لك، وتصل إلى مرادك، فلذا لابد أن نفهم سؤال الله وحده التوحيد، ما بيننا وبين الله عز وجل وسائط، ولا مقبورين، ولا أولياء صالحين نطلبهم من دون الله.

الأولياء الصالحين ينفعون أنفسهم، لكن ما تضعهم بينك وبين الله، ولا قبور يُرتجى أصحابها، ولا طواف غير الكعبة -الله يزيدها شرفا ورفعة-، ولا ذبح إلا لله، ولا نذر إلا لله، وبدون هذه الأمور، بدون تطهير العالم الإسلامي من الشرك، فإن كل الأطروحات هباء لا قيمة لها، ولذا تأملوا في الفاتحة، تأملوا في كلام النبي صلى وسلم سيكون هذا الأمر واضح جدا .

في الاستعانة لابد أن تستعين بالله وحده، كما كان يجب عليك أنك تسأل الله وحده، كما كان يجب عليك أن تعرف الله وحده.

قال (**وفي استعانة الله وحده فائدتان:**

إحداهما: أن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في عمل الطاعات.

والثانية: أنّه لا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله الله فهو المخذول.)

فبهذا لما تستعين بالله وحده تعرف أنك تطلب العون من الله في كل مسألة تتصل بالدنيا وتتصل بالآخرة.

ولا تظن أن الاستعانة فقط في أمر الدنيا، أي تطلب من الله العون في مسائل الدنيا فقط، حتى في العبادات فلا تظن أن الله عز وجل لمّا ابتلاك بالطاعات أراد أن يختبر قوتك الذاتية، أنت ليس لك قوة ذاتية، أنت لا حول لك ولا قوة إلا بالله، فيا أيها العبد إذا ناداك المنادي حي على الصلاة حي على الفلاح جوابه لا حول ولا قوة إلا بالله؛ لا أستطيع أن أستجيب إلا إذا أعطاني الله الحول والقوة، بل إن اليوم الناس لما ابتلوا بهذا البلاء وحبسوا عن بيوت الله، نسأل الله عز وجل أن يعطي المشتاقين لبيوت الله أجورا عظيمة على شوقهم، وأن يعطي المعلَّقة قلوبهم بالمساجد أجورهم كأنهم خطوا إلى المساجد يا رب العالمين.

بعض أهل العلم يقولون: إذا قال المؤذن صلوا في بيوتكم، أنت تقول لا حول ولا قوة إلا بالله، لأنها في منزلة حي على

الصلاة، حي على الفلاح، حتى في بيتنا ما أقدر أصلي إلا إذا أعطيتني يا رب العالمين حول وقوة.

فهذا الأمر مقصود أن تفهمه، في الشريعة مقصود أن تعرف أن حتى طاعتك بحول الله وقوته، وأنك لا تستطيع أن تنفرد بمصلحتك، وأنه لا بد أن يعينك الله على طاعتك، وعلى دنياك؛ على دينك، فلذا كنز تحت العرش "لا حول ولا قوة إلا بالله".

وهنا يحسن أن نتكلم عن الشهر المبارك الذي أسأل الله عز وجل أن يحل علينا، ونحن في أمن وأمان وبيوت الرحمن مُسرَجة جميعها بالمؤمنين الطاهرين الصادقين، و بيته الحرام مزهرا بالطائفين والعاكفين والركع السجود اللهم آمين.

ونحن مقبلين على هذا الشهر الكريم كم ولازال الناس يدخلون بخطط عديدة، ويتناقشون حول ماذا يجب علينا أن نفعل؟، كيف نخطط في الوقت؟، وينسون الكنز المهم **"لا حول ولا قوة إلا بالله" كنز تحت العرش**، اطلب الحول والقوة من الله يمدّك الله مهما كنت ضعيفا، واترك عنك الهموم والغموم الذي يأتي بها الشيطان ليحزن الذين آمنوا، فإذا حزن الذين آمنوا، حزنت قلوبهم، ما يكون عندهم نشاط لطاعة ربهم، فاترك عنك الأحزان وادفعها بذكر الرحمن، واطلب منه وهو

قريب مجيب، يجيب دعوة السائلين، ولا يخذل المؤمنين، اسأله أن يرزقك حولا وقوة، وكل ما وجدت في نفسك ضعفا اسأل الرحمن أن يعطيك حولا وقوة على طاعته سبحانه وتعالى.

فكما نسأل الله القبول بعد العبادة، نسأل الله الحول و القوة قبل العبادة؛ فلا بحولك ولا بقوتك ستصوم، ولا بحولك ولا قوتك ستقوم، ولا بحولك ولا بقوتك ستطيع، إنما اطلب من الله، لا معين على مصالح الدين والدنيا إلا الله.

وكما يقول ابن رجب (**فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله الله فهو المخذول.**)

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من المعانين على ذكره وعلى شكره وعلى حسن عبادته، ونحن راضون بما قسم لنا، فإذا كان هذا البلاء اختبارا عظيما، فإنه كما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها: أن مثل هذه البلاءات رحمة للمؤمنين؛ حبسهم وترقبهم وخوفهم رحمة للمؤمنين.

ولا ننكر في هذا كله نعمة الله؛ فإننا محبوسين الحمد لله دون عدوٍّ يتهجم علينا، الحمد لله ولا يدخل بيوتنا، ولا نخاف على أعراضنا فالحمد لله الحمد لله.

يقول (**وفي الحديث الصحيح عن النَّبي** ﷺ: **«احْرُصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجز»**)

إذن فكر ودبّر ورتب، لكن بدون هموم، فكر واحرص على ما ينفعك واستعن بالله.

إذن التفكير فيما ينفعك لا تجعله يهدّ قواك، بل مباشرة استعن بالله، لما تجد الأمر الذي تريد أن تنجزه كبير عليك، أو صعب عليك، مهم لكنه صعب استعن بالله، ولا تعجز، والله على كل شيء قدير.

من اللطائف أن امرأة تقول: قرأت في التاريخ القريب يمكن في 1800 بالتاريخ النصراني عن سلطان أفريقي في مالي، يُعتبر أغنى من عرفت الأرض، مسلم عنده تلال من الذهب، خرج من مالي إلى مكة، فيُحكي عن حجّه إنه طول الطريق أخذ معه قافلة كبيرة مليئة بالذهب، وكان يوزّع الذهب في كل مكان، فهي تقول تمنيت على الله أن أُعطى مثل ماله، وأنفق في سبيل الله، ثم شعرت أن هذا مستحيل فما الجواب في مثل هذا الموقف؟

أولا: ليس مستحيلا.

الأمر الثاني: إذا أنتِ صادقة في أمنيتك، وسألت الله أن يرزقك، ويعينك على الإنفاق إذا رُزقتِ، حتى لو ما رزقتي مأجورة كأجر من أنفق ذلك المال، فيالله كم فتح للمؤمنين أبوابا الشيطان يخسرهم إياها.

فأكيد تشعر نفسك عاجز، طيب فكّر، احرص على ما ينفعك، وفكّر، وهنا ليس نتمنى على الله الأماني، لا هنا «**فهما في الأجر سواء**»[15] كما في الحديث: رجل أعطاه الله المال فأنفق، هذا له أجر، ورجل قال وهو صادق: إنه لو أعطى الله مثله سيفعل مثل فعله، وهو صادق مستعين بالله، راجي الله أن يعطيه من أجل أن ينفق، وطالب من الله يعينه على ذلك، سيكونون في الأجر سواء، فحتى هذا لا تعجز عنه، لا تعجز أن تكون صادقا في هذه الإرادة، الله يرزقنا الصدق في كل إرادة.

(وكان ﷺ يقول في خطبته ويعلم أصحابه أن يقولوا: «الحَمْدُ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهُ»)

وهذا معناه أنه في كل خطبة يتكلمون فيها، يظهرون استعانتهم بربهم، واستهداءهم له.

---

[15] ( ) أخرجه ابن ماجه (4228)، وأحمد (18024) كلاهما باختلاف يسير، والترمذي (2325) بنحوه.

(وأمر معاذ بن جبل أن لا يدع في دبر كل صلاة أن يقول: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ»)

وهذه كلها أسلحة نستقبل بها رمضان، لا حول ولا قوة إلا بالله، أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

(وكان من دعائه ﷺ: «يَا رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تَعِنْ عَلَيَّ»)

وهذا مما نقوله ونردده: يا رب أعنّي ولا تعن عليّ .

(وفي دعاء القنوت الذي كان يدعو به عمر، وغيره: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ».)

فهذه كلها شواهد على أن موضوع الاستعانة موضوع مهم قد أتى في الشريعة ما يؤيد أهميته، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه أن يستفتحوا به، وأمر معاذ بن جبل أن يدعو بهذا الدعاء، و من دعائه صلى الله عليه وسلم يا رب أعنّي.

(فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وفي ترك المحظورات، وفي الصبر على المقدورات.)

هذه الثلاثة أمور التي هي أصل الدين وأصل حفظ العبد لربه؛ فمن حفظَ الله ائتمر بالمأمور، وانتهى عن المنهي، ورضي بالقضاء، وصبر في القضاء.

- فإذا أردت أن تفعل مأمورا استعن بالله.
- وإذا أردت أن تنتهي عن محظور استعن بالله.
- وإذا أردت أن تصبر على مقدور استعن بالله.

يعني كأنه **يقول العبد إذا أراد أن يقوم إلى طاعة**: أراد أن يصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة التي ستقدم علينا، الليلة المباركة؛ ليلة الجمعة يريد أن يصلي على الرسول في ليلة الجمعة وفي نهارها، و الحياة تشتته، فماذا يطلب؟ يا رب أعنّي على أن أصلي وأسلم على رسولك في يومي وليلتي، بل وفى أيامى كلها، يا رب أعنّي على الانتفاع من نهار يوم الجمعة، يا رب أعنّي على أن أوافق ساعة الدعاء المستجابة، أعنّي أن أقول لك ذكّارا، لك شاكرا، ويفكر فيما ينفعه في دينه ودنياه، يفكر في نفسه، وفي قدراته، يعرف أنه لا يستطيع، ويعرف كم أضاع على نفسه من الفرص بسبب أن الشيطان أخذك، وجعلك تهتم بالتوافه من الأمور التي ليس لها قيمة.

الحل: استعن بالله، وكل ما هجم عليك استعن بالله، حتى يعينك على أن تفعل المأمور.

هناك محظورات يمكن أن تقع في القلب؛ أي من أمراض القلوب محظورات يمكن أن تقع في السلوك، ممكن في الكلام تغتاب، أو مثلا تحقد على أحد، أو مثلا تحسد أحد، ماذا أفعل؟

تأتي الخاطرة مثلا وهو يغيظك فتحقد عليه، وتتمنى مثلا أن يزول عنه نعمة، أو تتمنى إنك لو نزعت حقك منه بشيء من الغيظ، فيشغلك الشيطان بمثل هذه الأمور فماذا تفعل؟

استعن بالله على أن يذهب هذه الأمور من ذهنك، استعن بالله أن يوقف عقلك عن التفكير، وقلبك عن الانشغال، استعن بالله ألا يكون في قلبك إلا ذكره وشكره، استعن بالله أنك ما تذهب إلى المحظور، استعن بالله أنك ما تذهب إلى الحِمى هذه فتقع في الخطر، أعنّى يا رب على أن يقف الصوت من عقلي.

الآن الناس بسبب كثرة الأخبار انزعجت نفوسهم، ودخلت المخاوف، ودخلت الوساوس، فأنت حتى تطلب من ربنا يعينك ألا تسمع الأخبار لأنه صارت بمنزلة المحظور، خصوصا لمن ابتلى بالوسواس، الشيطان يهجم عليك يخوّفك، يشعرك بأمور أنت بعيد عنها، تكون لست في بابها ولا في صداها ،

والمصابين بهذا الوسواس -الله يشفيهم جميعا- أدخلوا أنفسهم حالات من العذاب بسبب وسواس الشيطان والاستسلام له، وهم بعيدين تماما عن أن يقع حقيقة مثل هذه الأمور، فهذا أكيد يمرض القلب، ولذلك نهانا الله عز وجل عن الخوف، وأخبرنا أن هذا الخوف يمرض أبداننا وقلوبنا، كما لو تأملتم **في سورة آل عمران**، وكيف أمر سبحانه وتعالى المؤمنين أن يكونوا في حال من الشجاعة والثبات واليقين، ويبعدوا عن وساوس الشيطان الرجيم، الله يعيذنا من وساوسه.

هذه كلها محظورات استعن بالله لأجل أن تدفع هذه الوساوس، وما تستسلم لمثل كل هذه الأمور.

فهذه استعانة على فعل المأمورات، واستعانة على ترك المحظورات.

باقي **<u>الاستعانة على الصبر على المقدورات:</u>** وهذا شأن عظيم جدا، فإن الله عز وجل بحكمته ابتلى الإنسان ببلايا في حياته، وقلبه في أنواع من الرزايا هو يراها بهذه الصورة، لكن حقيقتها أن الله يريد به خيرا، واعلم أن الخير الحقيقي هو الذي تنفتح من ورائه أبواب رضا الله، فقد يقدّر على أحد في ماله ضيق، فالذي يظهر أن هذا الضيق سبب للكربة، لكن الله يعلم

أن هذا الباب -باب سعة المال- لو أغلق على هذا العبد، لانفتح له باب الذل والانكسار، والقرب من الله.

أنت في نفسك تقول: "مسكين هذا الذي وقع عليه هذا الأمر"، لكن الرب الحكيم يعلم أنّ هذا يقربه إلى بابه، فلا تقس الأمور، ولا ترَ الضرر إلا بعين كم يقربنا هذا إلى الله؟ وكم يعلمنا عن الله؟ وكم يوصلنا إلى باب الله؟

(كما قال يعقوب عليه السلام لبنيه: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ})

بمعنى ليس لي إلا أن أستعين بالله من أجل أن أصبر فلا يجعل الهم يُسبب له اليأس.

وقد كان يعقوب تام الثقة في رب العالمين، في أنه سيرُد عليه يوسف عليه السلام، لكن فلنفكر هذا الأمر الذي ظاهره شرّ:

نُزع الطفل الصغير، وبقي في البئر، ثم تأتي السيارة وتسترِقّه، ثم يكون رقيقا عند سيده، ثم تمكر به المرأة والنسوة، ثم ينتقل إلى السجن، كلها أمور في ظاهرها شر، لكن من ورائها التمكين، وحصل التمكين في الحياة؛ فمكّن الله يوسف، ورفع أبويه على العرش، فكان الأمر الذي ظاهره شر حقيقته خير من الناجح؟

الذي اطمئن بالله، ووثق بالله، وعرف أن لله في ذلك حكمة، وعرف أن العون من الله، وأن الله يعينه لكي يصل أن يكون صابرًا كما يحب الله.

(ولهذا قالت عائشة هذه الكلمة لما قال أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا.)

ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها؛ البريئة، المبرأة، الصدّيقة بنت الصدّيق، قالت **"لا أقول إلا مثل ما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان"** ، حتى أنها تقول في الرواية" أنها ذهلت عن اسم يعقوب، تقول: أنا صغيرة لا أقرأ من القرآن إلا القليل، فذهلت عن اسم يعقوب عليه السلام، لكن الله برأها، وفكّروا في هذا الحدث كيف كان كل تفاصيله توصل أن آيات تُتلى إلى قيام الساعة في حقها رضي الله عنها، و ينتقل جيل بعد جيل من أهل السنة المباركين يترضون عنها، ويكون حبها علامة الصدق، وبغضها علامة الانحراف، فالحمد لله رب العالمين وهكذا ابتلاء الله عز وجل للخلق.

فأنت لا ترى نهاية الأمور في الأقدار ترى بدايتها، تريد أن تصل إلى نهايتها سريعا؟ نقول: بل استعن بالله من أجل أن تصبر على القدر، وتخرج منه ناجيا؛ فكل بلاء لابد أن ينتهي،

وكل كربة لابد أن تنفرج، فأحسِن في الكربة، أحسِن في الشدة، أحسن في القضاء الذي نزل عليك، توكل على الله، لا تتعجل، يحسن الله إليك، فينفذ أمره، ولا ينفذ إلا أمره، وتخرج رابحا من البلاء، لأنه سينكشف سينكشف، لكن من الذي سيربح بعد ذلك؟ الذي استعان بالله وصبر.

(وقال موسى لقومه: {اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا}

وقال الله لنبيه ﷺ: {قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}

ولما بشّر ﷺ عثمان بالجنة على بلوى تصيبه قال: "الله المستعان"[16])

النبي صلى الله عليه وسلم كان في بئر، وبقي أبو موسى الأشعري قال: " **"لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ اليَومَ"**

«فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ البَابَ، فَقُلْتُ: مَن هذا؟ فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: فَقُلْتُ: علَى رِسْلِكَ ، قالَ: ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، هذا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، فَقالَ: ائْذَنْ له، وَبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ، قالَ: فأقْبَلْتُ

---

[16]( ) أخرجه مسلم برقم: (٢٤٠٣)، وعنده فقال: اللهم صبرا، أو الله المستعان".

حتَّى قُلتُ: لأَبِي بَكْرٍ ادْخُلْ، وَرَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُبَشِّرُكَ بالجَنَّةِ»، وهكذا كان الحال مع عمر رضي الله عنه.

فلما أتى عثمان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي موسى«ائْذَنْ له وَبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ، مع بَلْوَى تُصِيبُهُ»، وهذا من علامة نبوته صلى الله عليه وسلم، فقال عثمان الموفق الحييّ- رضي الله عنه، شهيد المحراب قال: "الله المستعان"؛ الله يعينني في هذه البلوة.

(ولما دخلوا على عثمان وضربوه جعل يقول والدماء تسيل عليه: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، اللهم إني أستعيذ بك عليهم، وأستعينك على جميع أموري، وأسألك الصبر على ما ابتليتني".)

فالحمد لله مات شهيدا، صابرا، يتلو كتاب الله، ويُبعث يوم القيامة على رؤوس الخلائق مكرّما، محشورا مع نبينا صلى الله عليه وسلم، وأعداؤه في النار، نعوذ بالله من الخذلان.

انتهى اللقاء.